فنية الرمز ودلالات الخطاب في القصة القصيرة "البغل الذي ابتلع القمر" للأديب عبد الرحمان الوادي "مقاربة تأويلية"

وائل فؤاد إسماعيل عبداللطيف*
dr.waelfouad12@gmail.com

ملخص:

يدرس هذا البحث جانب نقدي مهم في القصة القصيرة بعنوان "فنية الرمز ودلالات الخطاب في القصة القصيرة "البغل الذي ابتلع القمر" للأديب عبد الرحمان الوادي" مقاربة تأويلية"، ذلك الرمز يعالج فيه الكاتب قضايا اجتماعية، حيث تم فيه إلباس القصص لبوس مجموعة من المظاهر والقضايا الاجتماعية المشينة وفق ما وقف عليها من أسباب ومسببات كانتشار الفواحش والموبقات وميول الناس إلى إشباع نزواتهم، وذلك من خلال توظيف تقنية العجائبية والمفارقة وبلاغة الانزياح، ليفتح المجال أمام الدراسات النقدية الحديثة، حيث يبرز ذلك في القصص القصيرة التي أتى بها في مؤلفه "البغل الذي ابتلع القمر"، عندما نهل من الأساطير، والتُّراث الشّعبي؛ غير أنّ ظاهرة استلهامه للأساطير تظلّ الأكثر بروزا، وقد آثرت اقتصار الدراسة على عدم الإطالة، فالدراسة لا تنتهي بعد؛ لأن الكاتب جمع فيها عددا من الرموز الأسطورية أو العجائبية، ووظفها توظيفا فنيا جيدا، وبهذا يحتاج البحث لدراسات أخرى لاحظتها عند الانتهاء منه تفرضها عليَّ الأمانة العلمية، وقد ربط الكاتب أغلب الرموز بالواقع ليتفاعل الحدث والواقع المفعم بالرموز دون رابط منطقي يقوم على البرهان.

الكلمات المفتاحية: فنية الرمز، دلالات الخطاب، القصة القصيرة، البغل، ابتلع القمر، عبدالرحمان الوادي، مقاربة تأويلية.

* مدرس بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا ـ جامعة الأزهر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:** فقد استحوذت القصة القصيرة في العصر الحديث على اهتمام عدد من الأدباء والنقاد، فطفق المبدعون يطرقون بابها، واندفع النقاد محاولين ممارسة التجريب الإبداعي بوصفها جنسا أدبيا يمكن من خلاله التعبير عن الرؤى والأفكار التي شملت كافة مناحي الحياة، من هنا حاولت الوقوف على هذه الدراسة التي نهضت بمعالجة القضايا الجزئية المتصلة بنقد الواقع والمجتمع بتوظيف تقنية الرمز والعجائبية والمفارقة من خلال البناء السردي للقصة القصيرة (الشخصيات– الزمان– المكان– الأحداث– اللغة) بالربط بينها وبين الرمز المارد توظيفه في أغلب القصص التي استطاع الكاتب توظيفها بفنية ودقة عالية التكثيف.

وقد قمت بوضع يدي على ما وظَّفه الكاتب من لغة في السرد والحوار تصل بنا إلى دراستنا لعناصر البناء الفني في رواياته؛ فتم تناول الشخصية، والحدث، والزمن، والمكان، ولغة السرد والحوار، وفي دراسة الشخصية توقفت عند طريقة الكاتب في تقديم الشخصيات من حيث استبطانها الداخلي والمونولوج، واسترجاع الأحداث الماضية، ثم تناول بعض أسماء الشخصيات التي كانت لها دلالاتها الرمزية، انطلاقا من علاقتها بالواقعية إلى العجائبية، وأما عن الحدث فقد تناولته بالدراسة من خلال الأحداث المتتابعة والمتداخلة والمتزامنة.

وفي دراسة الزمن تم تناول الاسترجاع من تقنيات المفارقة الزمنية، وأرى أنهما الأنسب لدراسة الزمن الواقعي السحري، وفي دراسة المكان تم تناول الأماكن العجائبية والتحولات السحرية

التـي أحـدثها الكاتـب فـي الأمـاكن الواقعيـة مثـل قصـص: الصـرخة الثالثـة، البغل الذي ابتلع القمر، ذو الرأسين، وغير ذلك.

وأمـا عـن لغـة الكاتـب السـردية؛ فهـي لغـة فصـيحة عذبـة، لغـة أديـب عاشـق لجماليات اللغـة؛ فكثيرا ما ضمن لغته الروائية تعبيرات قرآنية، وصورا بلاغية، ومقطوعـات سـردية ذات إيقـاع شـعري، كمـا وظَّـف تقنيـة الحـوار فـي قصصـه كعنصر مساعد للعناصر السردية الأخرى.

التمهيد

إطلالة عامة على الكاتب وسيرته الذاتية(١)

أما عن الكاتب لهذه المجموعة القصصية (البغل الذي ابتلع القمر) فهو الدكتور عبدالرحمان الوادي، حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية، ورئيس بيت المبدع- فرع خِرِيبْكَة، وهو شاعر وأديب، صدرت له مجموعةٌ من الأعمال، منها مجموعةٌ قصصيةٌ: الموكب الملكي، وديوان شعري: ألسنة الماء، والمجداف، كما أنه مؤلف مسرحي حيث سبق وأن أصدر مجموعةً من الأعمال المسرحية: الحمار الحكيم، عدالة الماء، جاء الأمير، حطة الرما، والسيرة الذاتية للكاتب بالتفصيل:

الدكتور/عبد الرحمن الوادي من مواليد ١٩٦٦م، شاعر وكاتب، حاصل على دكتوراه في علوم اللغة العربية من جامعة محمد الخامس بالرباط عام ١٩٩٩م، ورئيس بيت المبدع فرع خريبكة.

- **الكتابات:**

أولا: الشعر:

- ألسنة الماء.
- مراسي.
- ما شكماني.

(١) ينظر: البغل الذي ابتلع القمر، تأليف الدكتور/ عبدالرحمان الوادي،(قصص قصيرة)، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ص ١٢٠، ١٢١، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٢٠م، وينظر: موقع دار التوحيدي بالإنترنت، الرابط: https://www.darattaouhidi.com/auteur/3

ثانيا: القصة:

- الموكب الملكي.
- سي ليكوز.

ثالثا: المسرح:

- عودة سندباد إلى بغداد (للأطفال).
- الحمار الحكيم (أوبريت غنائية للأطفال).
- الجمل والخنزير (أوبريت غنائية للأطفال).
- الأمير يعسوب (أوبريت غنائية للأطفال).
- عدالة الماء (للأطفال).
- جاء الأمير (للأطفال).
- الشهر الذي تخلى عن أحد أيامه (للأطفال).
- جعدونة.
- مريشا.
- حطت الرما.
- كاتب تحت الطلب.
- الجمجمة.
- تورناج.
- قلّت ما يدار (مونودراما).

رابعا: الإصدارات:

- شريط غنائي للأطفال، سنة ١٩٩٨م.
- عودة سندباد إلى بغداد، سنة ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، مطبعة المتحدة تادلة.
- الموكب الملكي، سنة ٢٠١١م، دار الوطن، الرباط.

- ألسنة الماء، سنة ٢٠١٢م، دار الوطن، الرباط.
- عودة سندباد إلى بغداد٢٠١٤م، الطبعة الثانية، منشورات ديهيا بركان.
- الحمار الحكيم، سنة ٢٠١٥م، منشورات مرايا طنجة.
- البغل الذي ابتلع القمر(قصص قصيرة)، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٢٠م.

خامسا: الجوائز:

- الجائزة الثانية في المهرجان الإقليمي للمسرح المدرسي بخريبكة، سنة ١٩٩٩م، (عودة سندباد إلى بغداد) من إخراج المولودي المنصور.
- الجائزة الأولى في الشعر بالرباط، سنة ٢٠٠٢م،(قصيدة الثالوث المقدس).
- جائزة الإخراج في مهرجان الجنادرية بالسعودية، سنة ٢٠٠٨م، (عودة سندباد إلى بغداد) من إخراج خلدون كريم المخرج التنفيذي لقناة سبيستون.
- جائزة الجمهورية في مهرجان توفيق الحكيم بمصر، سنة ٢٠٠٩م، (عودة سندباد إلى بغداد) من إخراج حسن الصواف.
- جائزة تازة للإبداع الأدبي، سنة ٢٠١٣م، (الحمار الحكيم).
- جائزة أحسن ماكياج مسرحي، وجائزة أفضل دور ثان في مهرجان المسرح المدرسي السابع بالأردن، سنة٢٠١٤م، (عودة سندباد إلى بغداد) من إخراج راوية الحموري ولواء المزار الشمالي.

البنية السردية في البغل الذي ابتلع القمر(قصص قصيرة)

أولا: عتبات العنوان: استطاع الكاتبُ الدكتورُ عبدالرحمنِ الوادي توظيفَ رمزيةِ (البغل) فوضعَ ذلك على كتابٍ قصصي أو متواليةٍ قصصيةٍ ربطَهَا بوَثَاقٍ شديدٍ ومُحكمٍ واسماه (البغل الذي ابتلع القمر)، وبهذا يَجعلُنا من أولِ وهلةٍ نجزمُ بأنَّ هذه القصصَ من الفانتازيا والغرائبية والعجائيبة أو ما يُسمونها بالواقعةِ السحريةِ التي يَقصدُ القاصُّ والكاتبُ من ورائِها هدفًا وغايةً نبيلةً، من معالجتِه لظاهرةٍ اجتماعيةٍ أو واقعٍ يريدُ المعالجةَ فيه لأمورٍ ما، ويُمكنُ القولُ بأن الدكتور عبدالرحمن الوادي لم يضعْ هذا العُنوانَ صدفةً وإنما وضعه بعد طولِ بصيرةٍ وبُعدِ نظرٍ وتفكيرٍ عميقٍ فلم يكن في شهرين أو سَبْعةِ أشهر، وإنما كتبَ هذه القصصَ في سَبْعِ سنين، وهذا ما جَعله يتميزُ بغرابةٍ، أو بنوع من العبثية المقصودة، ومن يُردِ التعرف على هذا المَقصِدِ والسرِ المخفي، والذي لا يمكن الوصول إليه إلا بعد قراءةٍ وتمعنٍ لهذه اللوحاتِ الفنيةِ السرديةِ التي رسمها الكاتب ووضعها في هذا الكتابِ الذي بين أيدينا الآن والذي نحاول فيه وضعَ النقاطِ على الحروفِ ربما نصلُ إلى القليلِ بعد هذه الجِلسة العلميةِ الأدبيةِ النقديةِ إن سمحتم لي بهذا الرأي .

في هذه القصص يمكن أن يُطلقَ عليها (متواليةً قصصيةً)، فهي هروبٌ من الواقعِ للدخولِ فيما يُسميه النقادُ بالواقعيةِ السحريةِ أو طرقِ أبوابِ الخيالِ الفانتازيا، ربما أرادَ الكاتبُ تقديمَ النصيحةِ التي عَجزَ عنها في الواقعِ فَسطرَ بقلمِهِ وأدواتِهِ الفنيةِ التي بدتْ واضحةَ المعالمِ والأركانِ في اللغةِ والحبكةِ الفنيةِ والأحداثِ واستحضارِ المكانِ الذي بدا واضحًا أكثرَ مما يلزم، فقام بوصفِه بدقةٍ متناهيةٍ، ومزجَ فيه الواقع إلى ما وراء الواقع إلى السيرِ والوصولِ إلى مكانٍ فيه اضطرابٌ وقلقٌ وهو نهايةُ الإنسانِ؛ لأن الأمرَ يتعلقُ بمحاولةِ اكتشافِ الحاضرِ أو الواقعِ، فمزجَ بين الواقعِ والخيالِ في صورةٍ مُخيفةٍ مليئةٍ بالاضطرابِ والفزعِ،

وبهذا استطاع الكاتبَ إيصال كل ما يريد للمتلقي، وأدل شيء على ذلك: أنَّ مَنْ يقرأ الفصولَ الأولى الخمسة ويعيش معها بخيالِهِ، ويتأمل ما فيها يجد نفسَهُ داخلَ هذا المكان الذي ليس له أبواب ولا سقف، كذلك نجده بهذا التهويلِ والتخويفِ والتهديدِ الذي ينتظرُ كلُ واحدٍ منا فيه نقد للواقع المريرِ الذي آلم الكاتب باختلاف أبعاده واختلاف مآسيه، وهو بذلك يرفض الكثيرِ من الواقعِ المعاشِ؛ ليجعل الناسَ تنتبه لهذه النهايةِ المؤلمةِ، والتي سوف يجنونها من وراء هذا الفسادِ والطمعِ، والتي رموها وراء ظهورهم واندمجوا في ملذاتِ النعيمِ الذائلِ القليلِ المتاعِ الذي يختلط فيه التعبُ بالراحةِ والخيرِ بالشرِ والمصائبِ والابتلاءات.

وفي هذا الوصف وهذه اللوحات الفنية الدقيقة احتجاجا، وعدم الرضا، والرفض لما يراه الكاتبُ من أمورٍ لا يرتضها هو أو أهلُ العدل أصحابُ العقولِ النَّيرةِ الذين تربوا على الأمانةِ والشرفِ على العاداتِ والتقاليدِ الطيبةِ أو الواقعِ القائمِ أي ذلك الاكتشاف الذي يتغلغل إلى دواخل العالم وباطنه، ولا يكتفي بسطوحه وجوانبه الخارجية، وبهذا المعنى فكتابة الغرابة المقلقة التي تستبطنها سخرية الكاتب من بعض المواقف، سخرية فيها ما فيها من "غمز ولمز" ونقد لواقع اختلفت أبعاده، وحجب ظاهره ما يطفح به باطنه من عتمات وإحساس بالقلق؛ كما هو الشأن في قصص الصرخة الثالثة، البغل الذي ابتلع القمر، ذو الرأسين، لذلك فإن الشخصية في قصص الواقعية السحرية يتم تركيبها بشكل دقيق يسهم في التصوير الباطني لها من حيث طريقة تفكيرها ونفسيتها، وهنا يأتي دور المونولوج والوصف والحوار؛ أما التصوير الخارجي لها

فهو متمم لاستبطانها ويشكل مرآة ينعكس عليها وصف الحركات والملامح، وتفاصيل أخرى متعلقة بالصورة وحجم الشخصية(١).

وبهذه المعاني نجد الكاتب بثَّ في هذه الكتابة القلق والاضطراب ومزجه بالسخرية في كثير من المواقف، سخرية يُشتم منها رائحةُ الغدرِ والخيانةِ، وبهذا ينقد لواقع اختلفت أبعادُه.

ثانيا: اللغة: فكانت حية غضة مليئة بالأسرارِ والتأويلِ الذي يتطلبه هذا العمل السردي والذي مزج فيه الكاتب الحقيقة بالخيال للوصول لغاية نبيلة، كذلك يلحظ أنها لغة قوية: فأتي بأسلوب لغوي متين وأصيل، فليس من السهل قراءة هذا العمل بسهولة فلا بد من إعادة القراءة لمرات عديدة، والتوقف عند كل كلمة، لذا فهذا العمل القصصي يحتاج عند قراءته لصبر وجو يملؤه الهدوء أو لتركيز أكثر مما ينبغي للوقوف على ما أراده الكاتب أو احتمال ما يقصده من وراء كل كلمة وضعها وسطرها بقلمه، حيث إن لغة السرد هي اللغة التي يتحدث بها السارد في متن النص الروائي، وتعكس ثقافته وقدرته على ابتكار الكلام ورصانة الأسلوب، ويفترض في هذه اللغة أن تكون فصيحة وراقية(٢)، وهذا ما يلحظه المتلقي في قصص الكاتب؛ فلغته الروائية راقية فصيحة واضحة وعذبة، وهي معبرة عن واقع شخوصها؛ ففي قصة البغل الذي ابتلع القمر، فقد أظهر الظلم والفساد في المجتمع بطريقة رمزية، حين اتهم البغل بابتلاع القمر، ولا يستطيع الدفاع

(١) ينظر: شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف الدكتور/ شعيب حليفي، ص ١٧٥، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، للدكتور/ عبد الملك مرتاض، ص ١٠٢، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٤٠، سنة ١٩٩٨م.

عن نفسه هكذا، حتى قدم للمحاكمة، يقول الكاتب: "**زحف الجلاد بصعوبة جمَّة، وهو يجر جسمه المسلوخ الذي شكلت عليه الرضوض أبشع لوحاتها العبثية حين تيقن أن صوته المدغدغ سيبلغ مسامعهم الباحثة على غرار عيونهم عن أي منفذ للخلاص، شقت صرخته المتكلفة صدر الظلمة شطرين قائلا بكل ثقة وكأنه نبيٌ جاءهم بوحيه المنتظر: البغل الذي ابتلع القمر.**

صدقوه رُغم أنهم كذبوه بادئ الأمر، الفعل قائم، لا بد لهم إذن من فاعل غافل يحمِّلونه تبعات ما حدث أو حدث، كثر الهرج والمرج، وعلا الحرج وجه الحقيقة الضائعة"(١)، من هذا المقطع يلحظ أن لغة السرد التي يتحدث بها السارد في متن النص القصصي تعكس ثقافته وقدرته على ابتكار الكلام ورصانة الأسلوب، فجاءت لغته القصصية فصيحة راقية واضحةٌ عذبةٌ معبرة عن واقع شخوصها؛ ومما يدلل على لغته الرصينة وأسلوبه المتأنق كثير من المشاهد الوصفية التي جاءت في لغة شعرية ذات مفردات مكثفة المعاني، وذلك يلحظ –أيضا– عند قراءة هذا المشهد الوصفي في إبطاء السرد من الذي ورد في قصة **(الذبيحة السردية)**: "**تركتُها وانصرفتُ، وإذا بعجوزٍ زادتُها وشُومُها المترهلةِ قبحًا إلى قبحِها، تَقطعُ طريقي بعكازِها الذي يُشبهُها كثيرا، كما لو كان من نفسِ الجَذعِ المَطروحِ على جانب الطريق الذي لم يَعد يسلُكه سالك، بالكادِ يتطايرُ شررُ غضبِها من عينيها الخامدتين مثل عيني سردينة مُتعفنة، تَخلَّص منها البحر ذات جَزرٍ بعد مَدٍّ، أثار صنيعها المتصابي موجة من الضحكات المكتومة والمتفرقة هنا وهناك، جعلتني أصحو قليلا من سَكرتي، فأنتبه إلى أنني كنت أقصِدُ مَجلِسَ النساءِ**"(٢). في المقطع السابق يبدو أن تعبيرات الكاتب ولغته

(١) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١.

تمتازان بصبغتهما الغنائية الإيقاعية، وهذه الصبغة أكسبت لغته السردية رهافة المفردات، وثرائها الصوتي، وجمال الأسلوب، وبراعة التصوير، ومما اشتملت عليه لغة الكاتب السردية، اقتباسها مفردات قرآنية في أكثر من قصة، ويعد الاقتباس صورة من صور استلهام التراث في العمل الأدبي؛ حيث يُضَمِّنُ الكاتبُ كتابتَه شحنة تراثية تقيم عَلاقة ما داخل العمل الفني، وقد يكون التراث فيها إطارا لتعزيز الصلة بالواقع لبث قيمة وتجربة، أو الاقتصار على صوت أو نبرة أو دلالة، ومن ذلك قول الكاتب: "**ما حاجةُ حذائِكَ بِكَ إذن؟ هيا تقدم حافيا**"(١)، إحالة واضحة للآية الكريمة "**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىً**"(٢)، وبهذا تصبح اللغة قوية متينة معبرة عما يريد القاص، لغة فصيحة عذبة، إنها لغةُ أديبٍ عاشقٍ لجمالياتِ اللغةِ؛ حريص على الاستعمالات السليمة لها، فكثر تضمين لغته الروائية بتعبيرات قرآنية، وصورا بلاغية بديعة، ومقطوعات سردية ذات إيقاع شعري، ولو أننا أعدنا كتابة هذه المقطوعات في شكل قصيدة سطرية؛ لحصلنا على مقطوعاتِ شعرٍ نثريةٍ رائعةٍ، كما إنها عبرت عن الواقع، وتجسد فيها عنصر المبالغة في الوصف.

ومن ذلك قوله الكاتب "**إنك مجرد خواء من خواء**"(٣). يلحظ ذلك الاقتباس في قوله تعالى: "**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**"(٤)، وربما يشير الدكتور عبدالرحمان الوادي إلى النهاية والحقيقة المرة وهي نهاية الإنسان، فمهما غرته الحياة الدنيا وزخارفها فلابد من وصوله لهذا المكان

(١) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٦.

(٢) سورة طه، الآية ١٢.

(٣) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٧.

(٤) سورة القصص، الآية ٨٨.

ثالثا: الحوار: له دور مهم في النص الروائي، ويكتسب أهميته "بفضل وظيفته الدرامية في السرد، وقدرته على تكسير رتابة الحكي بضمير الغائب الذي ظل يهيمن ولا يزال على أساليب الكتابة الروائية"(١).

حيث يلحظ أن الكاتب وظَّف تقنية الحوار في قصصه وهي عنصر مساعد للعناصر السردية الأخرى وذلك يلحظ عند حديث الشخصيات في الحوار عند السؤال والإجابة وورد ذلك في عدة مواضع في هذه القصص، كذلك يلحظ طرح الأسئلة من الراوي العليم ومن ذلك ما ورد في قصة "البغل الذي ابتلع القمر" "**تنازعت المنابر الإعلامية العالمية فيما بينها حق السبق الصحفي والمنجمين ولم يتأخر الذباب كعادته في حشد طنينه المزعج حول هاته المائدة الدسمة، لغط في لغط أغرق الفهم الحاسم في مستنقعه العطن، هل حقا ابتلع البغل القمر؟ هل سيتم محاكمته ولو بشكل صوري، هل سيحاكم لوحده، أم سيحاكم**"(٢).

الحكي والسرد القصصي: حيث غلب عليه أسلوب الراوي العليم المتخفي وأحيانا يظهر الكاتب فيقول: "**معذرة أيها السادة الافاضل إن تجرأت واقتحمت عليكم حرمة مجلسكم دون سابق موعد ولكن لا ريب ستغفرون لي صنيعي، وربما لتثنون عليه حالما تدركون أنني لم أفعل هذا إلا بدافع اشفاقي عليكم من هول السؤال على صمت**

(١) بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، تأليف/ حسن بحراوي، ص ١٦٦، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.

(٢) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٩٥.

الراوي المفاجئ طيلة حكم البياض وفعلاً يترك بياضا يرمز إلى توقف الكلام المفاجئ"(١).

في المقطع السابق يلحظ اللغة المشبعة بالتجديد؛ من خلال استخدام تقنيات لغوية قائمة على الحوار، والتناص، والشعرية، والتشكيلات والمقاطع الفنية، وهذا ما يدل على أن المستوى الذي يهدف الكاتب إلى بلوغه هو استفزاز القارئ المتمرس، ومطالبته بالحفر العميق داخل النصوص التي يمكن اعتبارها متواليات قصصية وفق منطق غرائبي، وإن بدا ظاهريا أنه منسجم، لذلك هذه أمور غير مألوفة، غير واقعية، غريبة وانتهاكية وانزياحية، تتعلق بالمتخيل أكثر مما تتعلق بالواقع، تبحث عن الإحساس القوي الشديد، وتثير القلق أكثر مما تخلق الطمأنينة... وهذا ما يطلق العنان للمتلقي فيتوسع المجال أمامه، ليواجه مخلوقات مختلفة وأحداثا واقعية، وعوالم مغايرة تدفعه إلى الانفتاح على الخوف والرعب، والإثارة، كما يجعله يفقد الكثير من أسس حياته العادية، بهذه القصص العجيبة، وهذا أدعى في الرمزية لأن تكون حاضرة بقوة.

وقد أكثر الكاتب في بداية سرده للأحداث من الأسئلة التعجبية والاستفهامية (كيف وأين ومتى). ومن ذلك قصة الحذاء الضاحك:" علام يضحان هكذا الشكل الهيستيري؟(٢)، وكذلك في نفس القصة:" هل سيجبره الفراق الذي لا يطاق على العودة أدراجه بسرعة الحنين؟(٣)

(١) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٣.

كذلك يلحظ تجليات الواقعية السحرية في لغة السرد والحوار، وبذلك يستطيع الكاتب إشباع قصصه بالتجديد وتداخل الأجناس الأدبية؛ من خلال استخدام تقنيات لغوية قائمة على الحوار، والتناص، والشعرية، والتشكيلات والمقاطع الفنية ما يدل على أن المستوى الذي يهدف الكاتب إلى بلوغه هو استفزاز القارئ المتمرس، ومطالبته بالحفر العميق داخل النصوص التي يمكن اعتبارها متواليات قصصية وفق منطق غرائبي، وإن بدا ظاهرياً أنه منسجم.

رابعا: الرمزية: تبدو واضحة المعالم ومن ذلك قوله في قصة **(مملكة الزيزفون)**: وذلك عندما أشار الى الشجرة الصامدة والتي تتطلع إلى أفق أفضل: " **من عاداتِهم المتوارثة هنا أن يدوسوا بأقدامهم البهيميةِ على هامةِ كلِ قادمٍ جديدٍ**"(١)، وفي ذلك رفض واستنكار لكل من يرضى ويسكت عن هذه الفوضى العارمة وكذلك قوله: "**ما هذا الصمت الجنائزي الذي يطبق على الأنفاس، معلنا خلو قلب العالم من أي إحساس**"(٢)، وفي ذلك إشارةٌ واضحةٌ أن القاص لا يتحدث عن حالة فردية، بل عن وضع مخلٍّ مس الكون بأسره ونال منه.

خامسا: المكان: كان له الأثر الأكبر في قصص (البغل الذي ابتلعه القمر) فهو البيت الذي بدا غريب الملامح فليس فيه ما تعارف عليه من مواد البناء التي نعرفها في الحياة ولو كان أبسط البيوت ولكنه يختلف تماما عما نعرفه وهذا ما ورد في الصفحة الخامسة من قصة (البيت) فقال: **(إنه البيتُ الذي كنتُ دائما أحدثُك عنه وكنتَ دائما تحمل كلامي محمل الهزل والمحال، لم تصدق**

(١) البغل الذي ابتلع القمر، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

مرةً واحدةً أنه بدون باب ولا جدران)(١). كذلك وصفه له بأنه ليس له عماد أو سقف.

وقد شكَّل المكان بُعدا مهما في الخطاب الواقعي السحري في هذه القصص، وفي دراسة المكان يلحظ الأماكن العجائبية والتحولات السحرية التي أحدثها الكاتب في الأماكن الواقعية مثل ما ورد في قصة **(مملكة الزيزفون)** قوله: "**ها هو الهالك اللحظة ملقي تحت أظلافهم وحوافرهم المستشاظة غضبا بركانيا، يعجنونه عجنا، لقد غفلت طاعته العمياء قليلا**"(٢)، ومن ذلك ما ورد في قول الكاتب في **قصة (الغبدار)**: "**حينما صعد من الظلام إلى الظلام تمطى وأطلق زفيرا الليل القارس تلاشى رماده بسرعة في هبات الليل القارس عميقا، لقد أخلف المطر موعده هاته السنة، هذا ما تؤكده السماء المتفرقة والمحتشمة؛ التي تموت فور سقوطها وتتكور في التراب العالق بجسمه**"(٣). ويلحظ هنا المزج بين الزمان والمكان والواقع والخيال. وهذا ما يظهر جليا في قصة **(مملكة الزيزفون)**، حيث يقول: "**للمكان مدخل فريد هو نفسه مخرجُه الوحيد، وسراديبُ سريةٌ تحت الأرض**"(٤)، فوصف الكاتب ما رآه في هذا المكان الموحش وازداد وحشة بعدما دخل إليه ورأى فيه السكون والصمت وإحكام الإغلاق، ويدل هذا على وصفه للقبر وما فيه من هول المنظر الموحش المخيف، ولذلك قصص الواقعية السحرية يلعب المكان فيها دورا رئيسا من خلال ما يحدثه الكاتب من تحولات سحرية على المكان الذي تجري فيه الأحداث، وذلك

(١) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠.

علـى النحـو الـذي فعلـه الروائـي العـالمي (مـاركيز) فـي روايـة مائـة عـام مـن العزلـة؛ حيـث اختـرع مكانـا أطلـق عليـه اسـم (ماكونـدو)، وهـذا الاسـم ليس مكانا محددا؛ وإنما هو واقع مكبر، هو واقع أمريكا اللاتينية(١).

ويعـد أبـرز فِقـرة أو مقطـع يكشـف جميـع مـا تخفيـه القصـص مـن ورائهـا هـو هـذا المقطـع: "**هـي إذن رحلتـك الأولـى خـارج الـذات بعـد أن أهملتهـا؛ جراء مكوثك الطويـل فـي نفـس المكـان. تركتهـا تترهـل وتتكـور كـويرات تطيـر مثل فقاعات من الهواء في الهواء، ثم لا تلبث أن تنفجر وتتلاشى**"(٢).

سادسـا: الشخصـيات: فـي قصـص الكتـاب الـدكتور عبـدالرحمان الـوادي، شخصـيات يقهرهـا راهـن القاسـي والمشـوه الـذي ترغـب فـي تغييـره أو شخصـيات تقـع معهـا أحـداث فـوق الطبيعـة (الواقعيـة السـحرية)، كمـا شـخَّصَ الكاتـبُ بعـض الحيوانـات والطيـور والجمـادات؛ فأسهم كل هذا في تشكيل عالمه السحري، كذلك سرد بعض الوضعيات التي تمثـل بعـض الوقـائع المزعجـة؛ مـن خـلال الحـديث عـن بعـض الشخصـيات الناقصـة(**صـاحب الأنـف الأفطـس- الأحـدب صـاحب الـرجلين القصـيرتين - الأعمـى**) الـبعض منهـا لهـا سـلطة علـى الطـابور الـذليل، والتي لها اليد في تشويه الوقائع وإفساده، وتعد الشخصية القصصية أو الروائية عاملا بنائيا وتكوينيا يتداخل مع بقية العناصر التي يُرْتَبَطُ بها وفق متطلبات السرد، وهي العنصر الذي تمتاز به الأعمال السردية عن غيرها من أجناس الأدب الأخـرى؛ فـلا وجـود لروايـة مـن دون شخصـيات- عظـم شـأنها أم قـل - فهـي التـي تصـطنع اللغـة وتـدير الحـوار،

(١) الواقعيـة السـحرية فـي الروايـة العربيـة، تـأليف الـدكتور/ حامـد أبـو أحمـد، ص ٧٥، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٩ م.

(٢) البغل الذي ابتلع القمر، ص ٦.

وتتجز الحدث وتنهض بالصراع، وتعمر المكان، وتتفاعل مع الزمان فتمنحه معنىً جديدا ، وهذا ما لا يمكن أن يقوم به أي مكون من مكونات السرد الأخرى(١).

فالشخصية إذن عنصر مهم لا تتم دراسة الجنس الروائي أو القصصي من دون المرور عليه والوقوف عنده، كما لا يمكن أن يحاط به إلا من خلال صلته القوية بعناصر الرواية الأخرى؛ لذا فإن الوقوف على الشخصية في روايات الواقعية السحرية يمثل إحدى الركائز التي تتكئ عليها الدراسة في تناولها للسحري والعجائبي في الرواية العربية(٢)، ومن خلال ما ذُكر يكون الكاتب قد ذكر بعض المعلومات التي ترسم صورة لشخصيته القصصية في ذهن المتلقي، تجذبه إلى ما تقوم به الشخصية من أعمال، وما يقع معها من أحداث فوق طبيعية؛ ومن ثَمَّ يستطيعُ المتلقي الوقوف على أبعاد شخصية سواء بوصفها الداخلي أوالخارجي، وما ينوعها إلى مونولوج وديالوج.

سابعا: الأحداث القصصية: فهي لا تسير على نمط واحد، ولكنها تأخذ عدة أشكال؛ فقد تسير في خط متتابع، أو متداخل، وقد تأخذ شكل أحداث متزامنة تشترك في الزمن، وتختلف في المكان الممزوج بالواقع والخيال، فعندما يعرض الكاتب قصته من دون تسلسل طبيعي للأحداث؛ فإننا نواجه شكلا من أشكال المفارقة الزمنية، وقد عرفها الناقد/ جيرار جنيت بأنها "دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة نظام الأحداث أو المقاطع الزمنية

(١) ينظر: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) ينظر: العجائبي في الرواية العربية نماذج مختارة، رسالة ماجستير، إعداد الباحثة نورة العنزي، ص٣٠، ٣١، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، سنة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

نفسها في القصة"(١)، كذلك هي: "انحراف عن التتابع الميقاتي الصارم في القصة، والنمطان الأساسيان هنا هما اللقطات الاسترجاعية، واللقطات الاستباقية"(٢).

ثامنا: الزمان: فقد استخدمه الكاتب، وبدا هذا جليا وذلك عندما لعب الاسترجاع دورا تفسيريا؛ إذ يسلط الضوء على ما فات، أو غمض من حياة الشخصية في الماضي، أو ما وقع لها خلال غيابها عن السرد؛ فالأحداث المسترجعة تكتسب أبعادا جديدة تنعكس في تجربة الحاضر بما يُسهم في إضاءة الذات، وعلاقتِها بالآخر، وكما هو معلوم أن الراوي في الأغلب يتحايل على تسلسل الزمن السردي من خلال هذه التقنية، ونظرا لاختلاف الماضي من الأحداث المسترجعة من ماض حدث قبل بداية القصص، أو ماض حدث بعد بدايتها؛ فالراوي العليم من خلاله "يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية، أي بعد بدايتها، ومن ذلك الكاتب في قصة **(همس الظلام): "أخبرتُه عبر هاتفٍ مجهولٍ أن عادتها لم تعد منذ ثلاثة شهور، ساد صمتٌ خطيرٌ. فكرَ هو في الإجهاضِ. فكرتْ هي في الحمضِ النووي. فهزم الوجود العدم**"(٣)، فقد تنوعت صور الاسترجاع التي انقسمت إلى استرجاع خارجي يعود إلى ما قبل بداية القصة واسترجاع داخلي، ويذكر ذلك بصورة من صور المفارقة الزمنية التي تختص باستعادة أحداث ماضية وقعت منذ بداية زمن الحكاية أو بعدها.

(١) خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جينت، ترجمة/ محمد معتصم وآخرون ص ٤٧، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٧م.

(٢) مفهوم الزمن داخل الخطاب السردي، تأليف/ ماهر الجويني، ص ٨١، مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، العدد ٢٤، ديسمبر ٢٠١٥م.

(٣) البغل الذي ابتلع القمر، ص ١٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث توصلت إلى أهم النتائج والتي من بينها:

١- إن البحث يظهر تمسك الأديب العربي بالقضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية، وبذلك يرد الأديب والمفكر العربي بشكل عملي من خلال أدبه بمواكبة الثقافة العالمية.

٢- آثر الكاتب الدكتور عبدالرحمان الوادي مجموعة من الأحداث في قصص قصيرة جميلة ومشوقة سردها بشكل سحري فانتازي، مما يعبر عن الواقع المؤلم الغاشم، الذي لا أمن فيه ولا منطق، إنه عالمنا الحاضر الذي نعيش فيه.

٣- يلحظ أن الرمز غلب على شخصيات القصص المستمدة من الواقع الممزوجة بالخيال، فشكلت محورا أساسا في بناء أغلبها.

٤- تناول الكاتب عنصر الحوار وصوَّره في أغلب القصص، مما ساعد على استجلاء المغزى من كل حكاية.

٥- تصدت الدراسة للكشف عن دور القصة القصيرة في معالجة القضايا المتصلة بالواقع وتنوعه بطريقة رمزية هادفة يغلب عليها الطابع الوصفي.

٦- استطاعت الدراسة الكشف عن البنية السردية والوقوف على العناصر القصصية قدر المستطاع، وتحليلها، وبيان دورها في تعميق النص، والتعبير عن الروى والأفكار التي تناولها الكاتب.

٧- يمكن القول بأن الدكتور عبدالرحمان الوادي كان موفقا في استدراج المتلقي مشاركته في كتاب القصصي "البغل الذي ابتلع القمر" بجمال أسلوبه، ولغته الراقية، وقوة المتن والصياغة.

الفهارس الفنية

أولا: المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جلَّ من أنزله.
- البغل الذي ابتلع القمر، تأليف الدكتور/ عبدالرحمان الوادي،(قصص قصيرة)، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٢٠م.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمن– الشخصية)، تأليف/ حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.
- خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جينت، ترجمة/ محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٧م.
- شعرية الرواية الفانتاستيكية، تأليف الدكتور/ شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.
- العجائبي في الرواية العربية نماذج مختارة، رسالة ماجستير، إعداد الباحثة نورة العنزي، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، سنة ٢٠٠٨م.
- في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، للدكتور/ عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٤٠، سنة ١٩٩٨م.
- مفهوم الزمن داخل الخطاب السردي، ماهر الجويني، مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، العدد ٢٤، ديسمبر، سنة ٢٠١٥م.
- الواقعية السحرية في الرواية العربية، تأليف الدكتور / حامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٩م.
- موقع دار التوحيدي، الرابط: https://www.darattaouhidi.com/auteur/3

The art of symbolism and the connotations of discourse in the short story “The Mule That Swallowed the Moon” by the writer Abdul Rahman Al-Wadi: “An interpretive approach”

Abstract:

This research dealt with an important critical aspect of the short story entitled “The Art of the Symbol and the Connotations of Discourse in the Short Story “The Mule Who Created the Moon” by Adeeb Abdel Rahman Al-Wadi “An interpretive approach” That symbol in which the writer has social issues, as the stories were dressed up as a group of visits, issues, and social society. We succeeded in what we found of reasons and causes, such as the spread of immoralities and evils and people’s tendencies to satisfy their whims.This is through the use of the technique of the miraculous, the paradox, and the rhetoric of displacement, to open the way for modern critical studies, as this is evident in the short stories that came from his author “The Mule Who Swallowed the Moon,” when he drew from traditions and popular heritage; However, the phenomenon of his inspiration from mythology differs from the more modern prominence, and the study has affected the fact that the study does not end, as the study does not end yet; Because the writer collected a number of writings to elaborate or miraculous, He made good artistic use of it, in a way that required research for other studies, and he noted it upon completion of the wide-ranging scientific work with honesty. He linked the writer, not writing, to reality, to interact with events and reality, which is full of symbols, without a logical link based on proof.

Keywords: The art of the symbol, the connotations of the discourse, the short story, The Mule, Swallowing the Moon, Abd al-Rahman al-Wadi, an interpretive approach.